



القطة أيضاً ترسم الصور

أحمد شوقي علي



أحمد شوقي علي / من مواليد 1988 ، صحفي وكاتب مصري نشرت كتاباته وقصصه في عدة دوريات وصحف من بينها: جريدة أخبار الأدب، جريدة الأخبار المصرية، مجلة الساقية الورقية، جريدة الدستور المصرية، جريدة المصري اليوم، وجريدة الراي الكويتية.

قصص

القطط أيضا ترسم الصور

أحمد شوقي علي

الطبعة الأولى يونيو 2010

رقم الإيداع:

جميع الحقوق محفوظة ©

عدا حالات المراجعة والتقديم والبحث والاقتباس العادية، فإنه لا يسمح بإنتاج أو نسخ أو تصوير أو ترجمة أي جزء من هذا الكتاب، بأي شكل أو وسيلة مهما كان نوعها إلا بإذن كتابي.

No part of this book may be reproduced or utilized in any form or by means, electronic or mechanical including photocopying, recording or by any information storage and retrieval system, without prior permission in writing of the publishers.

الناشر

محمد البعلي

المحرر العام

مؤمن المحمدي

المستشار الفني

احمد الزغبى

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

صفصافة

SEFSAFA PUBLISHING HOUSE

www.sefsafa.com

sefsafa09@gmail.com

دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

القطط أيضا ترسم الصور

المحتويات

- إهداء
- من مذكرات القط
- الروح الطاهرة جاءت تزور المكان
- ثلاث حكايات للموت
- "إخوان الصفا" كانوا يعرفون القلط
- طموحات كاذبة
- العشق ينتقم، دائما، بالحب
- القطط أيضا ترسم الصور
- يوم مقتل الساحر الشرير
- حكاية العفريت غريب
- عادة ما تسير الحكاية كما يحب صاحبها أن تكون ...
- الموت لا ينتسب إلي قبيلة الضباع
- فتحي يكتب الخواطر أحيانا
- الليلة الأولى قبل الموت
- شكر واجب

إهداء

(إلى روح يحيى الطاهر عبد الله)

إلى عمي «كمال علي عبد التواب»... رَحِمَكَ
الله... لعلك كنت - الآن - فخوراً بي.

توطئة

(1)

أحكي دون تدبير مسبق لما سأحكيه، فقط أحكي، للحكاية نشوة لا يعرفها إلا الحكاء، أحكي فيتجمع حولي العالم بأسره، ولكنني أفضل الحكى لنوح وركاب السفينة، فعمل الحكاية تهوّن عليهم السفر، وهم المسافرون فى الفلك كي يحلموا، والأحلام تفرسها الحكايات ... ولنوح وسفينته قصة ذات صلة وثيقة بالقطط.

"عندما كانت السماء غير السماء والأرض غير الأرض، فى يوم اختلفت فيه كل معالم السماء وطمست الأرض بالماء حتى قمم الجبال، ركب نبي الله نوح سفينته التي صنعها بعزمه وعزم ملائكة القوى الرحمن، حمل فيها من السباع كما حمل فيها من كل زوجين اثنين، سارت بهم الفلك لتنجيهم من خطر الطوفان الذي يبتلع كل شيء كقط جوعان استفرد بطبق كبير من البساريا الطازجة، وهناك قبل انبلاج الشاطئ، قبل أن تهدأ الأمطار وتنشق

الأرض لتبتلع المياه بأمر الهادي الجبار، ثارت
الريح والسماء والمياه ثورتها، فكانت زوبعة
كبيرة هائلة، إيداناً للمقابلة التي خيّر فيها
الناجون من الطوفان.

(وقف أفراد الفصيلة القططية مصفوفين
متلازمين)

قيل أن اختاروا بين القوة والبأس وملك
الغابة وحكمها، أو الحصول على سبعة أرواح
والعيش بالود والسلام كرعية بين أفراد الرعية
العاديين، ولأن القطط هي رئيس العائلة فكان
عليها المبادرة الأولى في الاختيار، ولأنهم
القدوة آثروا التواضع والتنازل عن الملك،
وهكذا أصبحت القطط أقل حجماً وقوة من
باقي أفراد العائلة، وهكذا تنازلت عن عرش
مُلُكها لتعيش بين العامة في ود وسلام¹ *

1 هناك خرافة تقول: عندما حدث الطوفان وركب نوح ومن معه
السفينة وقبل أن ترسو بهم خيروا بين متاع الدنيا وبهاثها وبين الإيمان
والفقر، فاختار المؤمنون الإيمان والفقر واختار الآخرون -ممن غرتهم
الدنيا- متاع الدنيا وبهاها.

(2)

القط مختبئٌ ماهرٌ جدًّا، يتخذ -دائماً- الأماكن التحتية مخبئاً له، تحت أي شيء يكون له تحت يختبئ، مهما كان هذا التحت ضيق الحيز يختبئ، تنحشر رأسه داخل "التحت" وتظل مؤخرته موجهة ومرئية لكل شيء، لكنه لا يكثر ويختبئ.

على القط الاحتراس من أعين البصاصين² البصاصون يتلصصون بأعداد كبيرة؛ فقلما يتلصص عليك واحد أو اثنين، يرتدى جميعهم الملابس نفسها والأقتعة نفسها، كلهم بنفس الحجم ونفس شكل الأجنحة، متماثلون لا متشابهون، وهم هكذا حتى لا تتكشف هويتهم ولا يُعرف لأي جهة يتلصصون، وأيضا حتى لا يعرف بعضهم بعضاً، فمن الممكن أن يتلصصوا على أنفسهم، وهم أغبياء لدرجة أنهم قد يشون بأنفسهم. وقد اكتشفت مؤخرا أن سبب

2 الذباب

تلصصهم بأعداد كبيرة، وتماثلهم هذا في الشكل؛ هو مكيدة مدبرة ضد القطط هدفها قيادتهم للجنون.

عندما يصطاد القط أحد البصاصين ويأكله جزاءً لتلصصه، يظهر له آخر بنفس الشكل تماماً حتى يُشعر القط بأنه البصاص نفسه الذي هاجمه وابتلعه منذ برهة؛ مما يجعل القط يشك في نفسه فيكرر مطاردته ثانية، وعندما يلتهمه يأتي بصاص آخر ويقوم بما فعله أخواه السابقان، وهكذا، ومع التكرار تنعدم ثقة القط في أفعاله ويصبح متشككا في كل شيء يقوم به، هذا تفسير. أما التفسير الثاني: فعندما يبتلع القط البصاص ويظهر له آخر بنفس هيئة الذي ابتلعه يعتقد القط بأنه شبح ذلك البصاص قد أتى لكي يطارده، ويأخذ بثأره منه، وفي كلا الحالين ينتهي الحال بالقط مختلا عقلياً.

« الحبُّ عذبٌ لم يذُقْهُ مقيدٌ * نخلدودِ
شهوته ولا معلولٌ »³

من مذكرات القط...

3 صيغٌ بتصريف، والبيت الأصلي هو:

الحب عذب لا يذقه مقيد

بحظوظ شهوته ولا معلول

من قصيدة بعنوان "عجبا تنام العين والقلب مشغول" لأحد شيوخ الطرق الصوفية، يدعي محمود ماضي أبو العزائم، سمعتها بغناء الشيخ أحمد التوني.

الروح الطاهرة جاءت تزور المكان

في بيت الجدة مآتم، مات أحد البشر، كان ذلك منذ ثلاثة أيام، ولأن منزلي جزء من منزل الجدة؛ فقد اتسع ليستضيف عزاء السيدات، أخبركم أنا عن عزاء السيدات ... حلقات وحلقات لا تنتهي من الإناث، متشحات جميعهن بالأسود الشاحب -تماما- كلون الباذنجان المسلوق، والحلقة فى شكلها كهيئة طبق من الباذنجان المسلوق باللحمة المحروقة، تصدر من تلك الحلقات همهمات وهنهنات غير منتظمة ممتزجة بأصوات نحيب وثرثرة كطنين البصاصين.

البصاصين .. آه من البصاصين، فى الجوهم تلك المخلوقات التي تتجسس فى أعداد كثيرة، وفى الفم مقرمشات يقشعر للذة قرمشتها البدن، و يهتز لها الذيل طربا، وفى البطن هنيئاً مريباً لا أذ ولا أطمع، والبصاصون درجات تماما كالسمك، فى أسفل السلسلة ذلك البصاص المنتشر والمعروف شكله لكل المخلوقات: حجمه صغير ولونه شاحب، وفى قمة السلسلة، وما أدراكم ما قمة السلسلة،

ذبابة زرقاء يلمع لونها وبيرق، فتراها تارة
فيروزة وتارة زمردة، أما الطعم فتأما كطعم
ذبابة زرقاء⁴ تبرق: فيروزة وزمردة. هنيئاً
مريئاً لا أذ ولا أطمع. في حياتي رأيت واحدة
وتذوقت أخرى، فهي نادرة كندرة وجبة من
الجمبري على الغداء، ولندرته هذه أتخيلها
ملكة البصاصين التي دائماً تعيش في قصر
غير مرئي مصنوع من عظام الدجاج ومزخرف
بقشور الأسماك الملونة، فضل تلك الملكة لا
يكن فقط في ندرتها وطعمها، وإنما لها عند
القطط أسطورة تفيد بأن من يأكل ملكتين
تتكشف له ستائر مملكة البصاصين الخفية،
وينفتح لمعدته كنز لا نهائي، هنيئاً مريئاً لا أذ
ولا أطمع.

4 الذبابة الزرقاء: هي ذبابة بحجم ذبابتين من الذباب العادي. ولونها أزرق
فيروزي. يصادف عادة وجودها في منزل المتوفى بعد أيام من وفاته، ولبعض البشر
قول فيها: إذ يمتدونها روح المتوفى الطاهرة قد جاءت تزور المكان.

البشر غريبون؛ عندهم للمولود "سبع" احتفالاً بقدومه للعالم، وللمتوفى "سبع" احتفالاً له بميلاده في عالم آخر (برزخي)، ويختلف شكل الاحتفالين.

اليوم "سبع" المتوفى، وكما كانت الحلقات منصوبة منذ ثلاث ليالٍ فهي منصوبة الآن، اليوم نهاره مشمس دافئاً، ومن نافذة تقع في ركن الغرفة تسقط الأشعة الصفراء الباهتة لتغطي رؤوس النسوة وأكتافهن، وفي حركة مباغتة قامت جارة المنكوبة في متوفاها، وفتحت شباك النافذة المصنوع من السلك وقالت بصوت خفيض "ادخلي" فدخلت، والسيدات باسمات معلقة رقابهن، وهي بينهن تمر حتى حطت على كتف الصغيرة مهذبة الشعر مجدولة الضفيرتين، قالت النسوة "ما شاء الله" ... وقلت أنا "يا فرج الله" وقال راوي الأقدار والحكايات "فلتبدأ المعركة" ... تأهبت جيداً للانقضاض على الملكة ثم انقضضت، طارت فطارت معها استغاثات النسوة، قالت إحداهن "حوشوه" وانقضضت

أخري محاولة إمساكي، وقام ثلاث من مرقدهن ووقفن بالعرض ليسدن الطريق، فما كان منى إلا أن أعض اليد التي تحاول إمساكي وأخمش مخالبي فى تلك التي تتوسط سد الطريق، وهكذا عبرت السد وطرت أحلق وراء الملكة التي حاولت جاهدة الهروب من أي منفذ، قالت إحداهن "افتحوا المنفذ للروح لعلها تنجو"، وقلت أنا -محدثا نفسي- "الممالك الخفية تهتف لاستقبال الملك"، هربت الملكة نحو حجرة الضيوف، وهنا زارت بكل ما أوتيت من قوة؛ فالهالك الهالك فى حجرة الضيوف، فهناك يوجد غريمي الوحيد⁵ وهو ساحر فاجر يغوى البصاصين بسحره، حيث يخلق هالة من الضوء ليجتذبهم بها ومن ثم يقتلهم، ومن أكثر من البصاصين طلبا للضوء، فالبصاص يقضى عمره يعيش فى الظلام ليتجسس على شخوص مثله يعيشون فى الظلام، لأن الملك دائما يستأثر بالنور لنفسه حتى يشعر بالدفء، وهكذا تكون غواية

البصاصين فى رؤية الضوء؛ فينجذبون نحوه؛ وما إن يدخلوا الفخ حتى يصعقهم الضوء ويمتص عدوي دمائهم فيرديهم قتلى، وهكذا وحتى لا تتخدع الملكة فى نداء الدفء الخادع صرخت فيها؛ فلا يمكن أن أتركها فريسة له ولا يمكن أن أترك الممالك تضيع منى، ولما لم يفلح الصراخ، قررت أن أقتنصها قبله، وكذلك قررت النساء حمايتها وتخليصها ولو ضاعت فداءها الأرواح.

توهج عدوى فكون ضوءاً خادعاً بالدفء، و انجذبت الملكة فحلقت نحوه كالمندوهة، فأنبئت من جنبي جناحين وحلقت وراءها، وأنبئت الفتاة خلفي مخلبين وانقضت عليّ، وهرعت أخرى نحو سلك ممتد على الحائط لتنزعه وتردى بذلك عدوى قبل أن يردى الملكة، كل هؤلاء وأنا انطلقوا فى ذات اللحظة، فظفرت باغية السلك بالسلك وأطلقت صيحة الانتصار، فأصدر الساحر أزيزا ثم مات، وانخدعت الملكة فماتت بخديعتها، وتشبثت ذات المخلبين بجناحيّ فكسرت أحدهما.

ثلاث حكايات للموت

بعد مطاردة امتدت نصف ساعة كاملة مما
تعدون، أردى الساحر الملعون الملكة الزرقاء ثم
مات، وأطلقت قاتلته صيحتين؛ واحدة للانتصار
وأخرى للالتياح، ومث أنا ثلاث مرات، تسلمني
الميتة لأخرى تحيييني؛ كيلا يضيع نصيب كان
لها فى موتي من جديد.

الميتة الأولى

كان "التعب"، وهو رسول ملك الموت -ولملك
الموت رسل عدة-، قائماً عند ذراعي. و كنت
أهرول بذراعين ورجلين هرباً من عدو بالخلف،
ومتجهاً صوب هدف أراه نصب عيني، وعندما
بدأت قواي تخور كانت العدوتان بعيدتين،
كذلك هيأت لي عيناى خائرتا القوي أن الهدف
أيضا بعيد، حينها همس لي التعب: تقايض؟
وعندما علمت أنه ليس لدي ما يستحق
المقايسة وافقت، وعند آخر ذرة طاقة تمتلكها
القوي، باغتني طيف لامع فعاد بصري حديداً،
ونبت فوق الذراعين جناحان، وأعارني الفهد

من الرياح ساقين، وهكذا صرت أعدو وراء
الهدف الذي لاح لي قريباً قرب الأنف للهواء،
وعندما كدت أجهز عليه داهمني التعب هامساً
مرة أخرى: تقايضنا وأعطيتك ما تستعين به
لاقتناص الملكة الزرقاء، فأين حقي؟ قلت: هل
جزاء الإحسان إلا الإحسان، حقك محفوظ،
فقط دلني عليه؛ آتيك به مهما كان، قال:
عافيتك ... وما كدت ألتفت نحوه حتى وجدت
إحدى العدوتين من خلفي قد تحولت ذراعاها
مخلبين، وانقضت علي جناحي فأصابت
أحدهما فمت تعباً.

الثانية

ذات يوم اشتقت للفرح فبكيت، فربت "الحزن"
على كتفي، وكان يبدو نحيفا شاحب الوجه،
قال: تقايض؟ فرددت (وفاقد الفرحة يدفع أي
شيء ابتغاءه): موافق، فإذا بقطرة من ندي
ذات ريح طيبة تستقر فوق أنفي فانتعشت،
وبصرت الكون حولي مبتهجاً فاغتبطت، ومن

وقتها والسعادة ترقد بباب عينيّ ألاحظها في كل شيء أراه، ظننت أن الحزن قد ضيّع عنواني، حتى أن مت تعباً وجدته يهمس في أذنيّ -سرت في البدن قشعريرة- فانتفضت وقمت أهز رأسي وأنفض الموت عنه، قال الحزن: اصح، جئت لأخذ حقي فأين هو، أم تراك ستبخسني إياه؟ قلت: لا ورب المحسنين، حقك محفوظ، فقط دلني عليه أجيبه مهما كان، أجب: الصبر ... وقبل أن أستوعب الحال استطرده هامساً: ملكتك الزرقاء قد ماتت، فصرخت: ويحي، ولما تذكرت جهدي في قنصها وموتي الأول قلت: ويلي، ورحت أدور برأسي في المكان، فإذا بالحزن يتبدل وجهه الشاحب بأخر ذي حياة، وجسده النحيل بجسد نمر، وبصرت نفسي فوجدت وجهي قد وهبه الثلج لونه ووجدت جسدي كساق وردة في فصل الخريف، فأطلقتها صيحة "واحسرتاه" ومتم كمداً.

الثالثة

رجرجني "الغيظ" بعنف (والغيظ ابن للشيطان ورسول للموت)، فقامت أنا المكلوم من موتي، أقمني حبة في فمي فمضغتها، قال: لحظات وتسترد عافيتك، لكن لا تنسَ... كل شيء وله ثمن، فتوقفت عن المضغ خشية أن أبلع ما أمضغه وقلت: قل لي ما الثمن؟ فقد دفعت مرتين العمر ثمنا، فقال: الثمن بسيط، أعطني التسامح، ولم أكن قد استعملت التسامح من قبل، فرفضت المقايضة لعله قد ينجيني من موت قادم لا أعلمه، عاجلني: لن تحتاج إليه عندما تعلم أن عدوك الساحر الملعون قد أردى الملكة الزرقاء واقتنصها بدلا منك، وأثناء تفاوضنا والحديث، تسرب من فتات مضغي شيء سرى إلى معدتي، وعندما حاولت التخلص منه قبل أن يصل إليها ويتم هضمه اندفعت الحبة المضوغة بأكملها صوب المعدة، عندها التمع وجه "الغيظ" سوادا واختفي.

بدأ جسدي يسترد عافيته شيئا فشيئا حتى

اكتملت، ليس ذلك فحسب، بل قد بدأ الجسد
ينمو ويزداد حجما حتى كاد رأسي يلامس
سقف الحجرة -مخدع الساحر الملعون غريمي
اللدود، عندها ظهر "الفيظ" مرة ثانية، قال:
أعطني التسامح، قلت: هذا جزاء الاستمرار
في مفاوضة اللئيم، فلو كنت بصقت الحبة
أول علمي بمطعمه ما كنت بلعتها، عندها كان
رأسي قد بلغ سقف الحجرة ورأيت الساحر
الملعون في مخدعه وقد مات قبل أن يقتنص
الملكة الزرقاء فمت غيظا.

إخوان الصفا" كانوا يعرفون القلط

فوق بيت الجدة سطوح، وبأحد أركانه تقع مدرسة "أصول المواء الابتدائية المشتركة"، فيها أنا تلميذ ألتحق بالصف الثالث، ذات يوم وقف الأستاذ صبحي مدرس مادة "التربية القططية" يشرح درساً جديداً.

(أشهر الأستاذ ظفره ثم جرح الفراغ راسماً مربعاً، فكانت نافذة)

(في مكان إعداد الطعام، أمام مصدر اللهب، كانت أنثى تقوم بالطهي، عن يمينها كانت أخرى أصغر منها بكثير تعمل يدها في حوض تطفو فوقه وتتناثر على حوافه رغاوي الصابون، قالت التي تطهو للتي تصنع الرغاوي: دا راجل قليل الأصل، تمام زى القطط ياكل وينكر)

قال الأستاذ: لن أعلق على هذا المشهد، أو ما قالته تلك الأنثى، فمن الهمّ ما يجعلك تزار ومنه ما يجعلك تموء، من الطبيعي أن تقتبس المخلوقات الأخرى بعض خصالتها من الحيوان، لأن البشرية هبط إلى الأرض وكان الحيوان من قبله يعيش عليها، ومن الطبيعي أيضاً أن تستقى الكائنات الأخرى من ثقافتنا

الفلسفية الحيوانية، لكن الغريب الذي قد يدل على الفقر الإبداعي للمقتبس أن يقوم باقتباس الشيء بنصه و يحرف فيه كلمة أو اثنتين ثم ينسبه لنفسه بعد ذلك، وهذا ما حدث، كلكم تعلمون يا هُرَيْرَاتِي أن هذا المثل هو منسوخٌ من مثلنا القَطِي الشهير " زى البشر ياكل وينكر " يستطيع القط العادي غير المدرب غير المتمكن إثبات كذب المثل القائل " زى القطط تاكل وتنكر"، فأولا القطط لا تأكل كثيرا حتى تُنكر ما أكلته، وتتمتع القطط بذاكرة جيدة تحميها من النسيان، وبالتالي فهي لا تنسى ما أكلته ولن تنكره، أما إذا كان مقصد المثل الإشارة إلي أن القطط قليلة الأصل والوفاء فهذا ادعاء كاذب ولتكذيبه إثباتان؛ أولهما ضعيف قد لا يُعتد به لتقصير في نفس البشر، فالبشر يدعون أنك إذا أطعمت قطة لسنوات عدة، فقد يتركك ويهرب كافرًا بمودتك ومعاملتك الحسنة، هم في ذلك لا يفطنون إلي أن القط مخلوق حساس جدا، ويقوم بذلك لشعوره بأنه قد أثقل على صديقه البشرى كثيرا وقد آن أوان أن يتحمل

مستؤليته الشخصية.

أما الإثبات الثاني، فهو تلك القصة التي من أجلها ضرب المثل " زى البشر تاكل وتتكسر"؛ تقول القصة: "في الزمن الأول لوجود الإنسان على الأرض، كان هناك رجل وامرأة وكانت الأرض لهما مهادًا، للرجل كان العمل بالنهار والسكون لزوجه في الليل، للمرأة كان الصبح إيذانًا لخلق نفس جديدة وكان النهار مكوثًا في الكهف لتنشئة العالم، للأب كانت الفجيرة في بنيه؛ قتل أحدهم أخاه، قتله وفر هاربا، لا يهم لماذا قتله، المهم أنه قتل أخاه، للرجل وزوجته وبنيهما كان كهف واسع على باب العريض يمكن قط أسطوري -يقال إن من نسله جاءت العائلة القططية- كان حارثًا وخادمًا مطيعًا لسيدته، يخرج معه نهارا ويعود عند الغروب، وكانت للقط عائلة مثل سيده: زوجة وهريرات صفار.

(كان وقت عشاء عندما دخل القط مغمومًا على أهله بعد أن علم بفجيرة الرجل في ولده).
من صدر الأم كانت تطعم هريراتها لبنًا،

ولكن هذا عشاء رقدت فيه القطة الأم مريضة،
وكان الصغار جوعي... أماه: أين الطعام؟...
بالآهة قالت: متعبةٌ يا ولد... رد الصغير عجباً
لكِ ... أمّ جحود... تُكُنِّي جحودها بالتعب،
سمع القط الأسطورة هذا الكلام من الصغير
فهاج وثار ثم لطم الهرّ قائلاً: بئس مثل الابن
أنت، مثل البشر تأكل وتكر ما أكلت"
هكذا حال البشر يا هريراتي؛ يُضرب المثل
بهم في الدناءة مثلما يضرب في المروءة،
لكنهم يلصقون الدنيء بما هو أدنى منهم
رتبةً ويستحذون على النفيس وإن لم يكن من
خصالهم، ثم لا يعترفون بالخصال النفيسة
معرفة صريحة لمن هو أدناهم مرتبة، فتراهم
يصفون الكلب بالوفاء وفي نفس الوقت ينعنون
من أتى منهم فعلاً دنيئاً بالكلب.

طموحات كاذبة

ولدت لأب و أم لم يتعارفا إلا بفعل الرغبة الحيوانية. لا، القدر وفق رغبتهما، بل هو إصرار إنساني من جانب أمي في تحقيق رغبتها، رغم إن عالمي هذا - عالم الحيوانات المستأنسة - فيه عوامل أخرى خارجية تحكم عملية توفيق الرغبات.

فصيلتي من تلك الفصائل التي مكانها قمة الهرم القططي، أنا قط شيرازي، الفرق بيني وبين قط الفصيلة العادية هو أن أمي ولدتني في مكان دافئ ومعد لاستقبالي، وأني مكثت معها قبالة الشهرين أمارس الرضاعة. غير أنني لست قطاً شيرازياً خالصاً ولا قط شارع عادياً، للأسف، أنا مزيج بين الاثنين، وتلك حكايتي: كان أبي قط بيوت من أولئك الذين يعيشون على السلالم وعلى بواقي الأطعمة الملقاة، وذات يوم استبدت بأمي فطرة الحيوان، لا أعرف كيف عبرت الحاجز الخشبي وأصبحت خارج منزلنا، لكنها فعلت ومارست فعل الحيوان مع والدي، هي من بدأت، وهكذا جئت إلي الدنيا قطاً وحيداً كأبي وأمي، قطاً بجسد شيرازي

كامل عدا الأذنين، فهما طويلتان بعض الشيء،
يتقدمهما شعر خفيف تماما كأبي قط "بلدي"
قبيل ولادتي بتسعة وخمسين يوما؛ أي بعد
فعلة أمي بأبي بيوم واحد، هرب والدي، لعله
علم جيدا مقدار جريمته التي فعلها، فذلك
الإنسي مالك والدتي كان يطمح في جيل شيرازي
خالص لا تشوبه أي شائبة، وها هي أمي قد
ضيعت آماله على درج السلم معه، أبي، ولهذا
فرّ. وقد تكون أمي القطة التي فطمتني في
شهرين كما تقول الطبيعة، أودعتني أمانة لدي
مالكها وذهبت، كما عبرت الحاجز الخشبي
من قبل، لتبحث عن والدي، أما أنا فلم أهرب
من البيت لأن مالكي اضطهدني بسبب جنسي
الخليط، وإنما لأنني بذرة بذرها أبي داخل أمي
على "العتب"، فلا الدخول أو الخروج مصيري،
هكذا بين بين، دائما مغترب، أكفر بالاعتیاد
والحياة الرتيبة، أنفر من الاستقرار، وهكذا
القطط دائما "نقارة"

المشهد التالي، الشارع، الدواخل والتحتيات،

تحت سيارة قديمة أحصن نفسي من صخب الشارع، الطريق لاكتشاف الآخر دائماً مليء بالأشواك التي يبذرهما ملل الانتظار والخوف على مكان تتركه فتعود لتجده لا يعرفك، كانت المسافة بين رقتي وقطة تنظر نحوي (تقف بين إطاري السيارة) حوالي خمس خطوات، وهكذا مر الليل كاملاً هي في مكانها وأنا بمكاني.

(تلك الطموحات الكاذبة والأمانى الخادعة! حياة الكفاح، الاجتهاد، اقتناص الطعام بالقوة والاصطياد، كانت أحلاماً جميلة، لكن دوماً ما تكون العلاقة بين الحلم والواقع هي تلك المرأة التي يري القط فيها نفسه أسداً، خصوصاً هذا النوع من الأحلام. أقول: خروجي إلي الشارع كان بمثابة تحول إنسان إلى قط فجأة دون أي استعداد).

مرت القطة بسلام، لم أنم طوال الليل ولا هي، يبدو أنها ذهبت خلف شيء آخر، من المحتمل أن يكون الطعام، ذهبت ولم أعرف هل كانت طيبة أم شريرة، لعلها كانت أمي أو أم

لأي قط آخر فرقت الطبيعة بينه وبين أمه...
هذا جائز.

في الشارع المفتوح ذلك المكان الذي تتخذ فيه
كل القطط حصونا للحماية من الصخب قد
تعامل الأم ابنها على أنه ذلك الآخر وتضمر له
كل المضمرات، لعلها لم تكن أمي وكانت قطة
عادية تعلم مكاناً للطعام ورأتني فخافت من
أن أسبقها إليه.

على العموم هذا مرّ ومرت معه أشياء كثيرة
لا أريد لها أن تعكر صفو تلك الوجبة الشهية
التي أعدتها الجدة لي وإخوتي الجدد وأمي
الجديدة في بيتي الجديد؛ مع العلم أنني الآن
بينهم لست فرداً جديداً.

العشق ينتقم، دائما، بالحب

(الرجل القاعد بجذع الشجرة عاري الجسد المتخذ من شعر الرأس والذقن والإبط والعانة لباسا له، يقعد وييده عصا طويلة كانت جذع شجرة شابة، وبأغصان الجذع الصلعاء تتدلى أشياءه: زجاجة مياه دائما ملآنة، وكيس من القماش به خبز مجفف وخبز طرى، و ثمرة تين، وعنقود عنب وقطعة جبن).

"جنية البحر، دائما، أحبت سطح البحر، وكانت من حين لآخر تطفو فوقه لتشاهد السماء وتتنفس أوكسجين غير مختلط بماء أو ملح. ذات مرة قابلت الجنية أمير البحر من الإنس فأحبته كحبها لتنفس الأوكسجين الصافي، فحولها القدر إنسية تتكلم من دون صوت، ليس لأنها تمردت عليه ولكن لأنها جنية بحر"

كانت أمي (ونحن نرقد حولها بجانب الشرفة)، كلما رأيت ذلك الرجل القاعد بأسفل الشجرة تحكي لنا حكاية الإنسية التي كانت جنية بحر، لكنها لم تحك لنا أبدا قصة ذلك الرجل، أما الرجل فكان دائما يحكي قصة

واحدة لم يمل أبدا من حكيها، والناظر له أول مرة قد يحسبه يحدث نفسه ليؤنبها، لكن المنصت يدرك أنه لا يحكي ندما على شيء فات، وإنما للحكاية في نفسه متعة لا يعلمها غيره.

يقول:

العشق كان رجلا وله حبيبة يحبها حبا كره معه الموت فتمني الخلود، فأماته القدر ليجعله خالدا في قلوب العشاق.

ولما كان العشق خالداً يهيم على وجهه بين القلوب، مس قلب قط فأحب قطه، ومس قلب القطه التي أحبها القط فأحبت بشرياً ولم تحب القط؛ لأنها تؤمن بأن البشر وحدهم هم من يحبون، أما هم، أي القطط، فيقومون بفعل الحب إذعانا لأمر الطبيعة، لكنهم يوماً ما أحسوا به يخفق بين الضلوع، حاول القط أن يقنعها بحبه كثيرا لكنه فشل، كان يقول: كيف تقولين إن القطط لا تحب وأنا أحبك، وأنت كما تزعمين تحبين بشريا ... كانت لا ترد، القطه كانت تحب بشرياً لأنها ببساطة أحبت بشرياً،

فالموضوع لم يكن تمرداً منها على جنسها،
ولكن هكذا مس العشق قلبها، فالعشق الذي
تمني الخلود يوماً ليحب جعله القدر يموت
ليكون خالداً في الحب، فتمرد علي قدره وجعل
العشق قدراً لا يختاره الأحبة.

القط الذي أحب قطة وفشل في إقناعها بأن
تحبه قرر أن يكون إنساناً حتى تحبه القطة،
فحوله القدر إنساناً، ولأن الإنسان الذي يشعر
ويحب سُمي إنسان من النسيان؛ تحول القط
إنساناً ونسي أنه إنسانٌ ولم يتذكر إلا أنه قط
فتجرد من الإنسان، واتخذ من شعر الرأس
والذقن والإبط والعانة لباساً له، وقعد بجذع
الشجرة بيده عصا طويلة كانت جذع شجرة
شابة، وبأغصان الجذع الصلعاء تتدلى أشياءه:
زجاجة مياه دائماً مملّنة، وكيس من القماش
به خبز مجفف وخبز طري، وثمرتين،
وعنقود عنب وقطعة جبن.

القطط أيضا ترسم الصور

كان هناك طفل يسكن فى منزل، وكان للمنزل باب من حديد به تفریفات على شكل مربعات تتخللها دوائر صغيرة، وكان الطفل دائماً يستخدم هذه الدوائر ليصنع من خلالها حائط أمجاده؛ حين يحشو الدائرة برأس القط ويترك جسده يتدلى مستندا على الفراغ، ثم يشرع الباب من الداخل بحيث يتقابل بعينه مع رؤوس القطط تبرز معلقة على الباب، يتداخل هذا المشهد فى مخيلته مع مشهد الحائط الكبير لأمجاد أحد الصيادين المهرة.

هذا الطفل عندما صار شابا تزوج وأنجب بنتاً برجلين ويدين ورأس، و كانت القطط تستخدم الأحلام لتصنع لوحاتها البديعة من دماء على جلد رقيق، لتستيقظ الطفلة من نومها وتكون اللوحة قد اكتملت: على جسدها خطوط متعرجة ومستقيمة تحول أحمرها إلى بني بفعل مناعة الجسم.

تسع وعشرون ليلة من اللوحات الفنية الدقيقة والفريدة، التي قد يستعصى على كبار الفنانين رسمها، لم تستطع أن تقنع الأم بأن

القطط ليست شريرة، وكذلك لم تستطع إقناع من هم يقصرون الإبداع علي الجن الشرير ولا يقرونه لأحد غيره.

(القطط تؤمن بالخيال والإبداع وليس في ذلك شر، فهي هي أتاحت الفرصة لطفل صغير كي يصنع حائط خياله الخاص، وها هي تؤمن بأن باستطاعتها رسم لوحات بديعة أبدية على جسد طفلة صغيرة).

كنت أرقد بباب الشقة الخشبي حيث يحلو الرقاد دائما عندما يكون الباب مواربا، عندما كانت الأم، التي انتقلت إلي بيت الجدة، جالسة على الأريكة يُكون صدرها مع الجزء المقابل له من الساقين زاوية حادة، تنكب على طفلتها تجردها من ثيابها ليطلع الحاضرون علي لوحات فنية جديدة قد اكتملت على ظهرها، قالت: لهذا تركت له المنزل حتى لا أستيقظ يوما فأجدها مشوهة أو مقتولة، فدلتهم امرأة من المطلعين علي "ساحر شرير" موثوق به

مستخدم، يعلم كيف يسلب قوس قزح ألوانه.

قاعدًا بالباب الموارب يجتازني الساحر
تلو الآخر، حتى اجتازني من السحرة ستة
لم يستطيعوا فلاحا؛ حتى جاء ذلك الجميل
القبيح، الشرير الطيب، الكافر المؤمن، وكان
رقمه سبعة، وبعد أن أعطاهم تعاويذهم،
طلب من المطلعين مفارقة الغرفة وتركه وحده
والطفلة؛ ثم شرع في إلقاء تعاويذه، وكنت
أنا القاعد بالباب الموارب أستطيع سماع
ما يلقيه من تعاويذ تحللت بها روح الطفلة،
ففارقها طفل يبكي كقطط تحرقهم الرغبة في
التزاوج، وقطط تموء كطفل أفزعه الحنين إلى
صدر أمه.

يوم مقتل الساحر الشرير

الجدّة التي رأت في حلمها بالأمس لحماً نيئاً
وتوجست خيفة فاستعاذت بالله، قالت "السماء
ستمطر ... بشرة خير، فرد جديد سيخرج
للحياة"؛ فصرخت أمي؛ فخرج أخ جديد؛ أخ
واحد فقط؛ لأن الثلاثة الآخرين الذين جاءوا
بصحبه أخذتهم الريح بعد أن غَسَلهم المطر،
هكذا حتى لا يكذب الحلم!

الأخ الجديد الذي سمته الجدّة "ناجي"
عندما أتم الشهرين وفُطِمَ أكل الساحر
الشرير لسانه، كان يطارد أحد البصاصين،
وكان الملعون متوهجا ليفوي البصاص، ولأن
ناجي لم يكن ذا خبرة لعق "ضوء الإغواء" الذي
يبثه ذلك الساحر، فأكل لسانه.

آه يا جدّة ... لولاك لمات ناجي؛ ناجي الذي
أتم فطامه ليظل رضيعاً طوال عمره، لم يكن
يرضع اللبن، وإنما كان كأسد فقد لبؤته،
كانت أمه/الجدّة تجلس ثم تضعه على ركبتيها
وتلقمه الطعام في فمه كذكر البط، وكنا في
أثناء ذلك نطارد البصاصين فيشرد بصره
تجاه ما نفعل وينسي مضغ قطعة السمك التي

في فمه. حاول ناجي اصطياد البصاصين؛ لكنه دوما كان يصطاد الفشل، ذلك أنه يعيش بنصف لسان، والقط منا يحتاج لسانه كاملا في عملية القنص، حيث تكون عيناه صقيرين يراقبان البصاص، وساعدها أسدين يجهزان على الفريسة فتسكن أسفلهما دون حراك، أما اللسان فحية ناعمة تُسكر بفحيحها ثم تبتلع وترفع ما ابتلغته أخيرا إلى الضروس لتقوم بعمل القنادس، بالهناء والشفاء، إذن فمن دون اللسان تكون العملية ناقصة، ومع ذلك فإن ناجي ذات يوم طارد أحد البصاصين حتى قنصه بين يديه وظل ينادي حتى جئت أنا وأمي وباقي إخوتي لكنه لم يأبه بنا، واستمر في نداءه حتى جاءت الجدة؛ فرفع مخالبه من فوق الفريسة ونظر لها مبتسما ثم قفز على ركبتيها، وعندما لم تفهم رغبته في تناول ما اصطاده ظل يناوب النظر إليها ثم إلى القتل، وهكذا فهمت، فدنت من البصاص بغير تأفف، والبشر يتأففون من البصاصين والميتين، وألجمته لناجي ثم ربت على رأسه وأنزلته من

فوق ركبتها، و ذهبت تعدو إلي حيث يسكن
صنبور المياه.

(مرت بضع ساعات)

نادت الجدة "ناجي .. يا ناجي" ولما لم يحن
موعد الطعام لم يأت، وقبل أن تفرغ للبحث
عنه ذهبت نحو الساحر الشرير، فصلت
عنه خيط الحياة المتصل بالحائط فأصدر
أزيزه المشهور ثم مات، وقبل أن يلفظ أنفاسه
الأخيرة ساومته فأخذت منه جميع البصاصين
الذين اقتنصهم، ثم أعادت له حياته فتوهج
من جديد، بعد فعلتها تلك بدأت في البحث عن
"ناجي"، وعندما وجدته أجلسته علي الركبتين
وفاجأته بكيس شفاف مربوط بشريطة حمراء،
تلك التي يحلو له مداعبتها، ولما رأي ناجي ما
بداخل الكيس نظر لها نظرة عتاب وحزن،
ثم تلفت ناحية الساحر الملعون فوجده يتوهج
بشدة سخرية منه، فمضي منكس العينين نحو
مخبئه تحت المقعد.

الجدة، حسنة النية، لم تكن تعلم أن العملية

هكذا أيضا غير مكتملة، ينقصها الجزء الأكثر إمتاعا ذلك الخاص بالاصطياد، ولم تعلم أيضا أن الاتفاق مع ذلك الملعون إهانة لناجي ولنا نحن أيضا، حتى إن ساومته على حياته، كيف سيأكل ناجي فضلته، كيف سيقبل على نفسه أن يأكل "فضلة" عدوه؟!

ناجي (و كان قد خرج من مخبئه) ذهب نحو الساحر وعسكر أسفله حتى لاح بالقرب منهما بصاص، انتظر ناجي قليلا حتى اقترب البصاص من "الضوء" فضرب الأرض بقدمي كُنفر، فطار وناول البصاص بيمناه، قبل أن يقع في غواية الساحر، فوقع قتيلًا على الأرض، وبينما هو يفعل ذلك أصاب ضوء الغواية ظهره فأكل الساحر من فروته وترك خطأ صغيرا لكنه ظاهر، وعندما هبط ناجي على الأرض جثم على جسد البصاص المقتول، ثم سد نظرة للساحر بدأ بعدها الساحر في الأقول، ترك ناجي البصاص القتيل مستنكفا وأولي ظهره للساحر ومشى نحو مخبئه أسفل المقعد. منذ تلك اللحظة والجدة تنادي على "ناجي"

ولا يأتي حتى لو كان موعد طعام، لأنه منذ ذلك اليوم يعتمد على نفسه ويأكل بنصف لسان، يفوص بكامل وجهه في طبق الطعام ويكتفي بما يصطاده بأنياه، وعندما يفرغ يذهب للقطة/ لأمه فتتنظف بلسانها وجهه: عينيه وأنفه، وأحيانا أذنيه مما علق بهما من بواقي الطعام، ومنذ تلك اللحظة أيضا والساحر الملعون قد أقل، ولم يسطع ولو بومضة واحدة.

حكاية العفريت غريب

بيت الجدة مكانه بشارع داخلي يقع خلف الشارع الرئيس تماما، وفي ظهره يقع بيت آخر وهما ملتصقان بحيث يبدوان وجهين لنفس البيت، أحدهما يطل على البحري، الشارع الرئيس، والآخر يطل على القبلي، الشارع الداخلي، البيت البحري أطول بحوالي دورين عن القبلي، فإذا وقفت على سطوح بيت الجدة، القبلي، شعرت كأنك في شرفة الدور الثالث للبيت البحري، وفي شرفة الدور الثالث بيت صاحبه عفريت من الجن اسمه "غريب" كان من البشر وصار عفريتا، التقيته أول مرة صعدت فيها إلى السطوح مستكشفا، كان يجلس على حافة الشرفة مستندا إلى السور بكلتا اليدين، والرجلان تتحركان أماما وخلفا كتلك الساق في ساعة الحائط. الجن فيهم من هيئة البشر الكثير وكأنهم نماذج أولي من الخلق، والبشر نموذج أخير متطور، و"غريب" كانت له هيئة الجن وإن كان يميزه شكله البشري قليلا عنهم، كان شابا له رأس به ما يمكن للرأس أن يحتويه، يستقر علي جسد يحوي اليدين

والرجلين، وجسم "غريب" لا حجم له ولا طول ولا عرض ولا لون، فهو هكذا عفریت، لما بصرته حیانی فرددت علیه التحية (مد لي يده فأخذ مني ظلي وأجلسه بجواره علي السور، وبقي جسدي بسطح الجدة في الجهة القبلیة) عَرَفَ نفسه وعرفت، تبادلنا الأحاديث، قلت: تبدو بشريا؛ فأطري علي ذكائي، قال ارو حكايتك، فرويت، قلت و أنت ما حكايتك؟ فروي:

منزلي من طابقين: أربع غرف بالطابق الواحد، كل غرفتين متقابلتان، المنزل هو الساكن الوحيد في جنائن الجوافة، و هي منطقة بعيدة عن سوق المدينة وورش الحرافة، سميت بذلك الاسم لأنها منطقة مزروعة جميعها بالجوافة، غرف المنزل جميعها مسكونة بالرجال إلا واحدة أمامي وهي فارغة، الرجال فقراء فيسكنون ذلك المنزل البعيد عن المدينة، يتكبدون عناء العمل بالسوق ومشقة الطريق ذهابا وإيابا، وكان عناؤهم هذا يجعل مهمهم الوحيد بعد العودة من العمل هو النوم، لذلك لم نكن نلتقي إلا عبر السلالم فنتبادل

التحية، لم يكونوا متزوجين وأكاد أجزم أن تعب العمل ومشقة الطريق أكلا ما عندهم من مخزون شهوة.

ذات صباح أتى صاحب المنزل ومعه ساكن جديد للغرفة الفارغة، كان مالك البيت من سكان المدينة وله بغلة يركبها من المدينة للأرض كسائر ملاك أراضي الجوافة، الساكن الجديد كان أنثى، رأيتها مرة، كانت حسنة (لعلها كانت قليلة الجمال لكننا بعد ذلك رأيناها حسنة)، بعد يوم من وصولها منزلنا احترق السوق، كان نيزكا من السماء، يقولون إن النيازك تنزل من السماء لتضرب رؤوس الشياطين، وبالفعل احترق السوق بجميع منازلها في يوم عطلة كي يضمن حرق الشياطين دون غيرهم، فمات جميع ملاك السوق وكذلك ملاك أرض الجوافة، هكذا صرنا بلا عمل.

لما ذهبنا للسوق ووجدناه هشيا تزره الرياح، عدنا أدراجنا نحو المنزل وهكذا قضينا أول يوم نعيث بين أشجار الجوافة نتسامر ونأكل من ثمارها، ثاني يوم قضينا نهاره بين الحقول

وليله فوق سطوح البيت نتسامر، الوحدة صعبة
والممل قاتل، الممل يسرق الحديث من الفم، وقد
نشأ بين الرجال في أولي الليالي القمرية حديث
جديد، تحدث أحدهم عن خلوته بنفسه، ولم
يفغل آخر عن ذكر تلك الجارة الجديدة، لم
نرها اليومين الفائتين، لعلنا لم نلاحظها أو
لم تفارق هي غرفتها، فقررنا قضاء الغد في
مراقبتها بدلا من السير دون هدف وسط
الجنائن.

وفي الغد، كان ما اتفقنا عليه ... تشاركنا في
سرد ما لحظناه ونحن سائرون بين الجنائن،
قال أحدهم "ساقها منحوتة"، وآخر "صدرها
مكتنز، شعرها حين ترسله يحجب ليله ضوء
الشمس"، وفي الليل من نفس اليوم جلسنا
بالسطوح، أضاف أحدهم للحديث شيئا جديدا
أحدثه في خلوته، قال: استحضرت صورتها
وأنا بنفسني مختل، صورتها بالكامل، فتحولت
حصانا وصرت أصله نشوان وركضت في
مضمار الشهوة ساعتين كاملتين، وما إن فرغ
من حديثه حتى سمعنا صرخة غير آدمية،

لم تكن صرخة واحدة كانت عدة صرخات متداخلة، أصواتاً لحيوانات و أصواتاً أخري لم نكن قد ألفناها من قبل، فزعنا نحو الأصوات وكان مصدرها غرفة المرأة، لما اقتربنا، كان صوت صريخ طفل وصهيل جواد ثم أسد يزأر، يصاحبهم صوت واحد مميز: ندائات لذة وشهقات كانت لامرأة.

في اليوم التالي لم يجرؤ أحد على الاقتراب ولو قدما من غرفتها، بل على الأدق لم يجرؤ أحد على مفارقة غرفته ولو قدما واحدة، اليوم كان الأربعاء وتكرر فيه ما حدث بالليلة السابقة. يوم الخميس لم يحدث شيء على الإطلاق، لم يكن هناك غير السكون، و تكرر الأمر نفسه يوم الجمعة.

السكون المستمر غير مطمئن بالمرّة، ظننت أن المرأة ماتت. في اليومين الفاتئين أعتقد أن أحدا لم يجرؤ على الاختلاء بنفسه وكذلك أنا، لكنني لا أعرف لماذا جرّوت في يوم السبت، كان الوقت مغربا وكنت وحدي والخوف غائبا عني، فاخليت بنفسني وجعلتها تحل بخلوتي،

تحولت فهذا بلجام، لا أعرف من أين جاء اللجام، الفهد حر ولم يكن يوماً اللجام كفوًا له، ضربت اللجام، قطعتة، عدوت فعبرت باب الغرفة وانطلقت نحو غرفتها، دفعت بابها وعبرت، رأيتها مستلقية على فراشها فعدت كما كنت بشريا، أحاطت بها هالات من نور وكان النور يسقط من السماء على هيئة حبات من الندي، تغير المكان فلم يعود هناك سقف ولا جدران وكانت وحدها بالفراش، طلبتني، نعم يا صديقي هي من طلبتني فاردة ذراعيها تناديني، فانقضضت، كنت أنا الإنسان وهي المتحولة، كانت مهرة وكانت لبؤة وكانت حور عين، نعم حور عين تماما كما تصفها الحكايات، وكانت هي المهرة تتأوه كامرأة وكنت أنا الإنسي أزار كأسد، وهكذا حتى انتهى الليل، ولما تنفس الصبح حبات النور، وجدت نفسي خارج الغرفة واقفا بين بابي وبابها لا أعرف كيف، كل شيء اختفي في أقل من غمضة عين كأنني لم أكن هناك أو كأنني عميت عن رؤية ما حدث، هرولت نحو الجنائن حيث الرجال،

وكانوا هناك يتحدثون فى فزع عما حدث ليلة السبت، عن العاصفة التي اجتاحت سكون اليومين السابقين، زارت فيهما، مزهوا، أنا من سببها، وكأن أحدا لم يسمع، أردفت صارخا بنفس الجملة عدة صرخات، كأني غير موجود أو موجود ولكن بغير صوت وبلا حجم ولا طول ولا عرض ولا لون، فعدت نحو المنزل أعدو كالفهد ولم أكن فهذا ولا حتى إنسيًا، لكني عدوت كشيء آخر لم أعده من قبل، وقفت بغرفتها، طرقت الباب فلم تجب، طرقت كثيرا، كأن أحدا ليس بالداخل، حاولت كسر الباب دون جدوى، فى تلك اللحظة بالذات لم يكن لدي أي إحساس بالجسم ولا بالجابية، شعرت أنني ميت فبدأت أبحث عن جسدي لكنى لم أجده، فعلمت أنني صرت عفريتا. هنا عرفت أن العفريت يبقى جسده ضائعا بدون ظل وروحه غريبة عبر الزمان.

عادة ما تسيّر الحكاية
كما يجب صاحبها أن تكون

مرت الأيام وكبرت، لم أعرف هذا إلا اليوم؛
أول أيام موسم تزاوج القطط!
الوقت غبي كالإنسان؛ أمهر من يسرق
نفسه، أصعب أيام حياتي هي تلك الأيام،
ولسوء الحظ كل إخوتي من الذكور، تخيلوا،
والجدة توصل الباب ولا تتركني أخرج، تعتقد
بأنني سأهرب، لو كانت تعرف أمي التي ولدتني
لكانت فهمت مقصدي وتركتني أخرج، يا جدة
سأعود، ما هي إلا بعض الحمولة أفرغها في أي
حاوية وأعود.

الأمر ليس ساخرا، بالفعل ليس كذلك، ليس
ساخرا أن تعوي طوال الليل ككلب ضال يبحث
عن ونيس ويسمعك من تريده أن يسمعك،
لكنك لا تستطيع الوصول إليه، وليس ساخرا
أن تهيج حواسك كلما لامست جسدا دافئا أو
أملس، ليس ساخرا أن تمارس الحب مع معطف
من الفرو ولا يخرج منك شيء غير أن يبدو
منظرك كالمسوس، لا تستطيع إلا الخجل لأن
ليس بيدك شيء، وإنما هي غريزة إجبارية،

ومع ذلك في تلك الأيام بالذات، رغم كل ذلك السقم والتحرج منها، إلا أن كل حواسي تؤمن بتلك الغريزة: سعادة أزلية في بضع دقائق، كشعاع ضوء فضي يخترق السواد.

القطعة التي تأكل أولادها تأكلهم، والقطط الذكور الذين يتزوجون من شقيقاتهم الإناث ينجبون منهن، وليس في ذلك عجب، ولا عجب أيضا في أنني لن أتزوج من أمي الحالية هذه، بالرغم من أنها ليست أمي الحقيقية، لن أفعل ذلك لأن الجدة عزلتني عنها عندما رأت سوءتي ظاهرة إثر مضاجعة ذلك المعطف، عجيبة تلك الجدة التي تخاف أن يسقط احترام أمي لدي بعد تزوجها، عليها إذن حجز باقي أبنائها عنها حينما يحين ميعادهم، عجبا منك يا جدتي فنحن لسنا غير قطط.

شكرا يا جدتي على هذا الوعد، وأرجو منك تنفيذه. قالت وهي تربت على رأسي: "يومان وأزوجك، يا فتحي يا غالي عندي، لكن اصبر

حتى أجد تلك العروس المناسبة، فقط يومان أو أكثر قليلاً " يا الله يومان وأتزوج"، سيكون زواجاً غير كل الزيجات التي تزوجتها القلط، سأستعير من غريب عاطفة الحب، هو عفريت وقادر أن يعطيها لي، لا بل سأستعير منه كل عواطفه الإنسانية، يومين مدة الزواج وأعيدها مرة أخرى له، هو صاحبي ولن يتأخر عني، سأعامل العروس بلطف، لا أريدها ليلة فقط لتفريغ حمولة السنين التي بداخلي، لن أعاملها كحايوة، سأكتب لها شعراً، وأحكي لها عن حياتي وحكاياتي، سأكون ودوداً، سأغني لها، سأرسمها هكذا وهي مستلقية على جانبها، لا لا سألق فراءها وأنظفه وأعيد تصفيف شعرها، سأجلب لها سمكة، لا بل جمبري وأتركها لتأكله وحدها وأكتفي بمشاهدتها فقط، لكن أتراها إذا فعلت كل ذلك ستُقدّر أو تعي ما أقوله؟! إذن سأطلب من غريب أن يعيرها إحساس إنسانة ولتكن عفريته، ولتكن ليلتنا كلها ملبدة بالعفراريت، يا الله متى يحين هذا اليوم؟.

"يا فرحتي"... الجدة جاءت اليوم بكيس فيه
جمبري لي وحدي، وحممتني، وقالت وهي
تجففني: "ابسط يا عم الليلة ليلتك يا عريس"
وغريب، حبيبي وصديقي وافق أن يعيرني ما
عنده ووعدني أن يعير عروسي كذلك.

("غريب... أين أنت يا عفريت؟"، وجاء غريب
ونفخ في ما نفخ، فسري عبق الإنسان الأثير في
جسدي الذي انتفض كمن ينفض ترابا كان قد
تراكم على جسده بمقدار السنين.)

يا الله... لم يمض على ذهاب الجدة لجلب
العروس إلا بضع دقائق لكني أشعر وكأنها
سنون، "لماذا أنا محبوس الآن؟ لماذا لا أحاول
الخروج؟ لعلني أكسر ملل الانتظار بالحديث مع
إخوتي، لم أحاول ذلك طيلة الأيام الفائتة،
فلماذا لا أحاول الآن؟"، وخرجت.

لن تنزعج الجدة عندما تعلم بذلك فأنا

اليوم عريس، "يا أمي، يا إخوتي... أين أنتم؟"
وجاءوا.

" يا الله، يذكّرني وجهك بوجه لا يمكن
نسيانه، وهل ينسي الحبيب وجه حبيبه؟" قالت
الأم، التي بدت وكأنني أراها لأول مرة، كانت
كصدر دجاجة أبيض ومكتنز باللحم، أولتني
ظهرها وسارت وكأن ذلك الصدر ينز الدهن
منه ويسيل فيترك خيطا زئبقياً لامعاً اجتاحت
رائحته أنفي وحملتني طائراً على مسار ذلك
الخط نحو تلك التي تتأرجح أمامي، فطرت
بدون تردد.

(أعارني غريب كل خصال الإنسان فكنت
شاعراً ومغنياً ورساماً وفارساً، لكن عجولٌ
وشهواني.)

فليكن!، سأرسم ذلك المشهد:

"أطير على خطا زئبقية

لتكن هي أمامي كصدر دجاجة مكتنز اللحم

كل منا يريد الآخر كما يريده

وكما يفعل الإنسان العجول الشهواني فعل
القط بالقطعة
(فَرَعْتُ الحَاوِيَةَ)
وعندما فَرَعْتُ من جسدي لذة السنين
كانت كنزوة عابرة؛ ومضة سوداء في أسود
لم أستطع حتى أن ألمحها
(هنا سيستفيق الجميع)
سأكفر بتلك الرغبة وأزديها، ومن ثم تأتي
الجدّة تحمل العروس
سأكون خجلانَ
(لأنّي لم أتخلص من الإنسان)
ولكن حال دخول أنفي ثمة هواء جديد،
ستولي لي الجدّة ظهرها مستنكفة ومن ثم تلوح
مؤخرة العروس
هنا سيظهر صدر الدجاجة بلون وشكل
جديدين، ولكن ستبقي الرائحة كما هي"
هكذا ستكون اللوحة، وهكذا سأكتب فوقها
"مشهد لا أريد له الحدوث"، ثم أدخل فيها
متمنيا حدوثه فلا يفتأ الإنسان بداخلي
موجودا.

الموت لا ينتسب إلى قبيلة الضباع

﴿ أَكْبُ عَنْ تِلْكَ الْمَرْأَةِ
الَّتِي سَتَحَلَمُ وَسَتَرِي فِي الْحُلْمِ
نَفْسَهَا وَهِيَ تَخْلُطُ الدَّقِيقَ
بِالْمَاءِ ثُمَّ تَعْجِزُ وَتَقْدِمُ مَا عَجَنْتُ
فَيَأْكُلُ مِنْهُ مَنْ يَأْكُلُ أَكْبُ
وَأَعْلَمُ أَنَّ ذَلِكَ نَبَأٌ بِالْمَوْتِ ﴾

(المرأة بالشرفة المقابلة ستحلم اليوم بالموت في هيئة عجين، كانت صغيرة، فتاة في مقتبل العمر، ولعل ذلك ما سيجعل الموت يأتي لها في هيئة عجين غير كامل النضج، يا امرأة لا عاصم اليوم من الموت إلا الصبر)

(كانت صغيرة، تسقي الزرع، يومياً، في مسكنه فوق سور الشرفة، كانت تحب الأزهار خاصة الفل البلدي، مع استيقاظ الصباح كانت تستيقظ، وكانت تحب الموسيقى، وتشرب اللبن يومياً مرتين، مرة قبل ثبوت الليل في نومه العميق، وأخري مع استيقاظ شمس الصباح، يا امرأة فلتجعلها مرة واحدة هذا اليوم، تشربين فيها اللبن مع الشمس، وليذهب النوم من عينيك رغم ثبات الليل في نومه)

هذه الرسائل كان يبثها "غريب" للرياح، كان يكلمها فلا تجيبه، ولم تكن حتى تحمل رسائله، كانت تتركها راكدة في بحيرة الهواء الراكد التي تُلقِي فيها رسائل العشاق من أمثال غريب، "الريح لن تؤمن لك يا غريب، انزل يا رجل، واترك الريح للريح"، لم ينزل وقال لي

اصعد، فصعدت.

"يا فتحي فلتذهب إليها ليلاً، سأحملك عبر
الأسوار، ولتحمل روحها عنها أثناء نومها، ثم
تأتيني بالروح، وأنا على الحلم الخبيث لقوي
أمين"

الليل بسكون وسكينة ملجأً لجميع الأرواح،
حتى تلك الشابة منها، ذلك أن الليل مملكة
كالصباح وما جعله الله سكوناً لبني البشر إلا
ليكون حياة لمن سواهم، الأمر ليست له علاقة
بحالة عشق ما بين الليل والروح أو كائنات
الليل الأخرى، وإنما هي منظومة، فالنهار
هو وقت تقييد الروح بالجسد، والليل هو وقت
تقييد الجسد بالموت وتقييد الروح بالحياة، فليس
هناك شيء حر في ذلك العالم، إنها فقط كذبة
الضعيف على نفسه، ذلك الإنسان الذي يتحايل
على ضعفه باختلاق أي شيء يشعره بالقوة،
مثل مسألة الحرية تلك، أنا لا أراها مشكلة
في ألا يكون المخلوق حرّاً، انظر لكلمة مخلوق
نفسها، هي كلمة بعيدة كل البعد عن الحرية،
ولماذا يكون ذلك المخلوق حراً رغم أنه يدين

بفضل الحياة لآخر وهو خالقه؛ وحده خلقه
ويميته ويحيه ويحركه كيفما يشاء، دعنا من
هذا كله، المهم هو المطلوب مني؛ أن أفك روح
الفتاة من قيدها بالحياة، ثم أقيدها بجسدي،
ثم أذهب بها لغريب حتى يضل الحلم فيتوه
عنها، وبالتالي لا تموت الفتاة.

أغرب ما في الأمر أن غريب، وهو الآن
عفريت، ما زال يصدق أن الموت بهيبته يتخفى،
رهبة، في صور عدة، يأتي فيها للإنسان لينبئه
بموته، وما زال يصدق أيضا أنه يستطيع صد
هذا الموت، "يا لك من غريب يا غريب"

القط الذي يعلم ما يخفي على غريب هو الآن
في حيرة، أي من تلك الأرواح هي روح الفتاة؟
... (الوقت يداهمنا يا فتحي) ... "يا غريب
هل حلمت الفتاة؟" ... (ما زال الموت غير
ظاهر في الأفق، إذا رأيته فضله، قيد جميع
الأرواح بجسدك ثم أطلق روحك في وجهه) ...
"يا غريب أي الأرواح روح الفتاة؟" ... (عجل يا
فتحي لقد لاح الموت قريبا، افعل كما أمرتك

... قيد الأرواح بجسدك، ثم أطلق روحك بدلا
منهم).

"مالي وكل هذا يا ربي، هذا مخبول لا محالة،
لا يفتأ يصدق نفسه، لماذا أسمع له، يا رب
الروح روحك، أنت منشئها فلتسامحني على ما
أفعله، يا رب أعلم أن تلك الحياة أنت مسيرها
بيدك، ولا يمكن لشخص إبطال ما قضيت،
إنما هي بداية أنت كتبتها ونهاية أنت قضيت
بها، وما يعيش المرء بين ثناياها إلا ليرضي
شغف الفضول الذي أوجدته أنت بداخله،
فاعلم يا رب أنني ما عاونت غريبا إلا سعياً وراء
ذلك الفضول، ولتسامحني إنها الحياة"

"يا غريب، اعتن بروحي فإنها ستسبح وحيدة
الآن" ... (لا يا فتحي... انتظر، خطرت لي
فكرة، إن الموت لن يقبض روحاً خارج جسدها،
فأطلق روحك وكن متأهبا، فإذا جاء الموت
ستذهب الروح التي سيقبضها إلي الجسد
الخاص بها، عندما تري ذلك اقبض أنت على

تلك الروح واطرك روحك مكانها حتى يتوه الموت
عنها ويعود حيث أتى).

"يا غريب، أدركني. إن الأرواح كلها بلا
أجساد، وإن واحدة منهن تتجه نحوي، إنها
روحي يا غريب قد جاء الموت ليقبضها، أنا الميت
يا غريب ... أنا الميت"

﴿أَكْبُ عَزُّ تِلْكَ الْمَرْأَةِ
 الَّتِي حَلَمَتْ وَرَأَتْ فِي الْحُلْمِ
 نَفْسَهَا وَهِيَ تَخْلُطُ الدَّقِيقَ
 بِالْمَاءِ ثُمَّ تَعْبِزُ وَتُقَدِّمُ مَا عَجَنْتُ
 فَيَأْكُلُ مِنْهُ مَنْ يَأْكُلُ
 إِنَّهَا قَامَتْ فَتَقْلَتُ عَزُّ سَارَهَا
 ثَلَاثًا وَاسْتَعَاذَتْ
 أَكْبُ وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحَهُ
 وَلِكُلِّ مَخْلُوقٍ سِرَّهُ﴾

(الروح روحك يا رب ولا راد لقضائك. يا رب ما كنت خائنا لصديقي وأنت تعلم الغيوب، إنما نحن في الحياة أدوات تسير بأمرك وتتأمر جميعها بقصد أو غير قصد لينفذَ قضاؤك، فليرحمك الله يا فتحي وليرحمني من بعدك) "الروح تقترب مني يا غريب، افعل أي شيء، دلني ماذا أفعل؟ ... هل هذا عقابك يا رب؟ هل ستقبض روحي، عقابا، لأنني تجرأت علي ما ليس لي به علم؟"

(إذن يا فتحي ستموت هكذا ولم تك تعلم أنه الموت قد جاء ليزورك أنت عند تلك الفتاة، لماذا يا موت تأتي، دائما، بغتة، ويراك الجميع إلا ذلك الذي أتيت لتزوره ولم يك يحسب، أبدا، حساب تلك الزيارة، وتترك، دائما، من يخافك ويحسب لك كل حساب؟)

(يا فتحي! صدق أنه الموت يحوم حولك، وإنه كالأسد يترفع عن أكل الميتة، والخوف موت، فترقب الخوف، يملكك، ولا تغفل عنه طرفة

عين، فتسيان الخوف قوة، ولذة الاقتناص
تكن دائما في صرع الأقوى، فبربك لا تكن،
الليلة، ذاك القوي)

"ما هذا يا غريب، لقد شقشق الصبح
والأرواح الحائرة تركت قيد الحياة وذهبت
للتقيد بأجسادها، يا غريب إن روعي بداخلي
والموت ليس هنا! يا غريب أنا حي!... أنا حي!"

فتحي يكتب المخاطر أحيانا

- السجن أبدا سيظل سكن السجناء

الهروب ليس أملا، والسجن أبدا لم يكن
مكاني ...

هذه حياة القط الاعتيادية، من سجن لسجن
يعيش، حتى في الشارع ذلك المكان العاري من
القضبان؛ القط فيه هارب من الخوف ويبحث
لنفسه بيديه عن سجن يسميه حصناً يحمي به
من ذلك الخوف من كل شيء.

هي ذكري أليمة تلك التي خلفتها لدي
محاولتي في الهروب إلى الشارع ...
"لم يكن الهروب يوماً أملا والسجن أبدا ليس
مكاني"

لماذا لم يخلقني الله مستأنسا أكثر من ذلك،
فلا أنفر من تنقلي بين أيدي المستحسنين
لجمال هيئتي ووداعة وجهي، أيادٍ تتلقفني مع
كل مسكة أشعر كأنها طوق خانق، أقاوم لألوذ
بعنقي ولا جدوى، أفلت إفلاتا مؤقتا، حتى
عندما أعض وأخمش لا يخافني الأطفال،
يكتفون بالبكاء قليلا ثم يعاودون الربت على

رأسي وتمسيد ظهري، "يا جماعة هذا ليس لعباً مني ... هذه ليست مناغشة .. أنا أقاتل" أموء ويحسبونها استحساناً لفعلهم، اللعنة على الموء الذي لا يستطيع الزيتير.

لماذا خلقني الله قطا يستحسن اللحم عن الخضار؟ حتى إن داومت على أكل الخضار وعزفت عن اللحم، الفريزة لا تتركني وتدفعني دفعا نحوها لتنتهي بي الحال دائماً في الحجز؛ السجن المؤقت، حتى ينتهي اللحم ويبقي العظم أو الدهن ... اللعنة على الدهن كم مرة عزفت عن أكله حتى يتم تغييره، ومع ذلك يبقي الدهن وجبة عندما يتواجد اللحم.

"إنها العلامات"

الفرع من كوني قطاً كان علامة، لا أكره كوني قطا ولكن أكره ما فرضته على الطبيعة، لهذا أظل دائماً بين بين، الكاره الساخط على

الواقع والمنصاع دائماً للمفروض واللازم والغريزة التي لا يد لي فيها، ذلك الإحساس الـ " هو المولد دائماً للثورة في يوم من الأيام، لعلها لاحت قريباً في الأفق، إذن الفزع من حالي هو علامة.

الهروب لم يكن مني هروباً، وإنما كان من إحدى تداعيات تلك الحالة، الـ " ، القط دوما يهرب من بيته لكنه يعود، لا يعود لأنه فشل أو أن بيته هو المكان الصحيح، لكنه يعود لأنها الحال والطبيعة، لكنني هربت إلي الشارع مع وعد بعدم العودة أبداً، ولعل ذلك أيضاً علامة.

"إنها العلامات" أبداً تسعي خلفي، بل أنا الذي أركز عليها وأسميها العلامات، لعلها ما يبقيني حياً عن طريق الأمل، العلامات ستقتلني لا محالة، ستقتلني لترحل روحي وتترك هذا الجسد الفاني الذي كتب عليه ألا يصير غير تراب يسير عليه المؤمنون، ألسنت مؤمناً!.

ليست العلامات إلا الأمل الحقيقي الكاذب،

وليس الهروب أمانا، والسجن أبداً لم يكن
مكاني، والعلامة الآن أتلمسها في نور تلك
الجرة اللا إنسانة؛ الملاك، التي التقطتني
من الشارع، أنا الشيء اللامع المترب أغري
بالاقتناء ، بالرغم من أن الفضة أيضا تلمع
لكنها تبرق بلون التراب.

الجرة وأنا لم نكتب العلامات، وإنما هي
أشارت إلينا، والهروب دوما لن يكون النجاة،
والسجن أبدا سيظل سكن السجناء.

الليلة الأولى قبل الموت

هذه الليلة القمر لم يعرف منازلته، ولم يعد
كالعرجون القديم، الشمس لم تجر لمستقرها.
فليكن العالم هكذا، خلقه الله مكتملا ... الكل
موجود. آدم موجود، نوح وعاد وفرعون، كعبة
محمد، براقه، قبة الصخرة، طبقات السماء
السبع، النساء المعلقات، الرجال المعذبون،
المستقبل المحتوم، الكل موجود، لكن كلا منهم
يسبح في مجاله، خلقت يوم خلق آدم وكذلك
كل جزئيات العالم، ولدت الآن ومت الآن، ولكن
ولدت في مجال ومت في مجال يعقبه بمجالات
كثيرة أخرى، الآن أتكلم والآن -في مجال آخر-
آدم يتعلم الكلمات، إبراهيم يناجي ربه، فرعون
يزج به في نار جهنم، المسيح الآن مصلوب،
والناقة تشق الصخرة، محمد يقف يسقي
بيمينه من بئر الجنة ويشرب من آمن معه.

الكل موجود ... الكل حادث في نفس اللحظة،
وما هي إلا مجالات متوازية متقاربة بحيث لا
تستطيع تمييزها لا بالعين المجردة ولا بأي عين
أخرى، وإنما هي عين يختص بها الخالق عباده
المخلصين.

أما أنا ... فمنذ حملتني أمي القطة إلي هذا العالم وأنا على علم بأنني لست قطة، لعلي في مجال آخر قدر لي أن أصير إنسيًا، أو روحا هائمة ينتهي مطافها بانتهاء الدنيا، شعرت دوما أنني نبي، كان كلما حدث لي شيء وأنا صغير مثل تغريب، قهر، سوء توفيق في البدايات، يعبث الهاجس بدواخلي وأعلم أن الغيب يخبئ لي شيئًا ما، قد لا أكون نبيا لكنني لن أكون قطة عاديا، خلقت حيوانا على فطرة الإيمان وليس بعد نعمة الإيمان نعمة، لكن قبلها هناك نعمة دونها يصبح الإيمان مجرد فضيلة ملائكية أو حيوانية؛ نعمة الشك وليس قبل الشك نعمة، ولأنني لا أريد أن أصير ترابا، قررت أن أشك لعلي أصير نبيا، أحطم الأصنام وأتبه في الأرض بحثا عن الحقيقة المعروفة في أولى المجالات هناك، يوم خلق آدم، سأؤمن بوجود المجالات فتنتفح أمامي، سأري الفوارق الدقيقة بينها، ستسبح روعي في فضائها الكبير/الدقيق، لعلي إذا مت ولم يصبني الشك واستحال الجسد ترابا، تكون روعي قد ملأتها الحقيقة إيمانا.

شكروا/جب

لا يفوتني هنا أن أشكر القط فتحي، الذي اختارني لأدوّن حكاياته، وأمي وأبي اللذين وثقا في موهبتي وساعداني -مادياً ومعنوياً-، وخالي «علي» الذي وفر لي جزءاً لا بأس به من رفاهية الكتابة، والدكتور «ياسر الشاعر» الذي علمني أن نفخ الكير هو المعبر لحمل المسك.

كما أشكر أساتذتي: إبراهيم عبد المجيد، وأحمد صبري أبو الفتوح، اللذين شمالاني باهتمامهما، ولم يبخلا بوقتهما ولا نصائحهما المهمة، وكذلك الصديق الودود «نائل الطوخي»

ولا يفوتني أيضاً شكرُ أستاذيَّ: سيد محمود،
وإيهاب كامل اللذين كانا أسباباً مباشرة
-وغير مباشرة- لخروج هذه المجموعة.
وعددٍ من الأصدقاء، من بينهم: أحمد عبد
الجواد، ومحمد منصور، ومصطفى نوبي،
والصديقة مي نجيب، الذين كان لملاحظاتهم
دورٌ كبيرٌ في التعديلات التي أُجريت على بعض
هذه القصص.

كما أشكرُ شيرين عبد الله «المُلهمَة» السَّبب
الأول في سعادتي، وكتابة هذا الكتاب الذي
تغلقونه الآن أو تفتحونه.

صدر عن الدار

مؤمن المحمدي	شعر	تخاريف خريف
محمود خيرالله	شعر	كل ما صنع الحداد
عبد الرحيم يوسف	شعر	قطة وقديسة وجنية
لميس فارس المرزوقي	رواية	حدثتنا ميرا
كمامي	رواية	إف/هم
سيد عبد القادر	مقالات	زعماء وعشاق
ميشيل نبيل	نصوص	يا قليل الأدب
سعيد البادي	رواية	المدينة الملعونة
سعيد شعيب	وثيقة	حوار الملط
أشرف عبد الشافي	مقالات	المنقفون وكرة القدم
د. أيمن بكر	نقد	الأخر في الشعر العربي
وليد علاء الدين	شعر	تفسر أعضائها للوقت
علي العمودي	رحلات	يومييات من القرن الأفريقي
خالد الجابري	كوميكس	آلة الزمن
أحمد شوقي علي	قصص	القملط أيضا ترسم الصور
أشرف عبد الكريم	قصص	الشياطين لا تأتي عصرا

قيد الإصدار

أكرم ألفي	تحليل	صعود ليبرمان
مجدي الجابري	كتاب شعري	عيل بيصطاد الحواديت
د. ياسر ثابت	مقالات	فتوات وأفندية